تفريغ سلسة محاضرات

صالح في إصلاح البيوت

١- أهمية إصلاح البيوت

لفضيلة الشيخ

خالد بن ضحوي الظفيري

قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

miraath.net
ميراث الأنبياء
www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأَنبِيَاءِ أَن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجِيلًا

لسلسة محاضرات بعنوان

نصائح في إصلاح البيوت

ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور

خالد بن ضحوي الظفيري

- حفظه الله تعالى -

في مسجد السعيدي بالجهراء بالكويت نَسأَلُ اللَّهَ - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يَنفَعَ بِهَا الجَمِيعَ.

بسم الله الرحمن الرحيم نشكر إدارة مساجد الجهراء على وضع هذا اللقاء الأسبوعي- إن شاء الله- في هذا المسجد، وسيكون معنا خلال شهرين- إن شاء الله- في كل أحد، كلمة حول إصلاح البيوت، أو نصائح في إصلاح البيوت، وتربية الأبناء، وغير ذلك من المسائل المتعلَّقة بالبيت، وآدابه وما يحسُنُ فيه، وما يحسن أن يؤديه المسلم خلال يومه في هذا البيت، حتى تكون- إن شاء الله- على هدي النبي –صلى الله عليه وسلَّم- ، هذه الكلمة- إن شاء الله- لم تطلَّ بعدُ، فنصبر على ذكر الله - سبحانه وتعالى- حتى تتنزل علينا الملائكة، وتغشانا الرحمة أو يذكرنا الله فيمن عنده، فهذا من فضائل الأعمال ومن الأعمال التي يُحبَّها الله – عز وجل- فليجتهد المسلم في تعلم أمور الدين.

لا شك إخواني في الله أنَّ هذه الدار كلها دار اختبار ودار ابتلاء ، المسلم يعيش حياته، في يومه، في صحَّته، في مرضه، فيما أعطاه الله - عزَّ وجل – من النِّعم، فيما أعطاه من الولد، فيما أعطاه من الذريَّة، فيما أعطاه من الملك والمال، كلها اختبار وابتلاء، يبتلي الله –عزَّ وجل- العباد حتى ينظر، هل يؤدون شكر هذه النَّعم في طاعة الله – سبحانه وتعالى-،

هل يعبدون الله – عزَّ وجل- على هدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فإذا أدوها على هذا على وفق ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلَّم- صلُحت لهم حياتهم ، صلُحَتْ لهم معيشتهم، وعاشوا حياة سعيدة، فكلُّ السَّعادة، والسَّعادة كلُّها هو في شكر نعمة الله، وفي أداء عبادة الله – سبحانه وتعالى- وفي الاستغفار من الذُّنوب والتَّقصير إذا فعلهُ العبد،

فإذًا يقول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56]،

فنحنُ نُبتلى في هذه الدنيا، كما قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:2-3]،

فالله –عزَّ وجل– يعلمُ صدق العبد من كذبه فيما أعطاه الله وابتلاهُ في هذه الدنيا فينظر هل يُطبِّق فيه شرع الله، أم أنَّهُ يهمل ويغفل ويترك ولا يؤدي المسئولية الواجبة عليه.

نبينا –صلى الله عليه وسلم– بيَّن أنَّ كُلَّ واحِدٍ منَّا مسئول يوم القيامة عمَّا تحت يده من المسئولية ، قال –عليه الصلاة والسَّلام– : «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ما معنى مسئول؟

أي مُحاسب، عن رعيَّته، عن من تحت يده ، أنت ستُحاسب على من تحت يدك، بحسب مسئوليتك، قال: «الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ»

وكذلك الموظَّف راعٍ ومسئول عن وظيفته، والوزير راعٍ ومسئول عن وزارته، والأب راع في بيته ومسئول عن أولاده، مسئول عن بناته، مسئول عن زوجته، صلاح زوجته، مسئول عن تعليمه لوالديه أمِّه وأبيه، مسئولٌ عن صلة الأرحام، مسئولٌ عن كل أمر من أمور هذه الدنيا، فأنت لا شكَّ أنَّك مسئول، هذه مسئولية، تحملتها أيُّها العبد، فيجبُ عليك أن تنتبه لها، وتؤدي حقَّ الله –عزَّ وجلَّ– فيها، « إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا استرعَاهُ».

يقول النبي – صلى الله عليه وسلَّم- : « إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا استرعَاهُ أحفِظَ ذلك أَم ضَيَّعَهُ»،

ستسأل عن ولدك، حفظته، أم ضيعته، ستسأل عن بنتك حفظتها أم ضيَّعتها، والحفظُ والضَّياع هنا ليس في قضايا الدنيا فقط، بل الأصلُ حفظهم في الدين، حفظ الولد في دينه في طاعة ربه، حفظ البنت في دينها في طاعة ربها، في المحافظة على الصلوات في المحافظة على العبادات، في تعليمهم لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، كتاب الله -عز وجل- وغير ذلك من شمول التعليم، هذه كلها ستسأل أمام الله -عز وجل- عنها،

لذلك جاء في القرآن وكلام ربنا -سبحانه وتعالى-، أن من سيرة الأنبياء أنهم يحرصون على ما استرعاهم الله -عز وجل-من الرعية، يقول الله -سبحانه وتعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [التحريم: ٦] هل اكتفى بالنفس؟ قال: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]

إذًا المرء مطالب أن يقي نفسه من النار ويقي أهله، يجتهد في وقاية أهله، إذا رأى منكرًا غيره، إذا جاءت طاعة أمر بها وذكّرهم، ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾

يقول الله -عز وجل- لإسماعيل: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ [طه: ١٣٢]

أُمر هذا النبي بأمر أهله بالصلاة، والمصابرة على الأمر، تصبر تأمر مرة مرتين ثلاث أربع كل مرة حتى يستقيم أهلك ويستقيم ولدك، ولاتترك الحبل مثلما يقال على الغارب فتضيع السفينة وتغرق، عند ذلك تندم على ما فرطت أشد الندم،

وهذا .....قول لقمان كان يقول لابنه، ووصايا ابنه مشهورة: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ١٣] إلى آخر وصاياه فكان يعظ أبناءه ويذكرهم بطاعة الله -سبحانه وتعالى-،

هذا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لم يترك والده من غير نصيحة ومن غير بيان، مع أن والده كان على الكفر وعلى الشرك وعلى عبادة الأوثان والأصنام، ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢] ينصح والده، و يبين له طريق الخير من طريق الحساب والضلال،

ونوح قال -عز وجل-: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢] حريص على نجاة ابنه وذهابه مع أهل الإيمان وعدم ذهابه مع أهل الكفران فيضل، هذه طريقة الأنبياء والصالحين عموما في مراعاتهم ..... لذرياتهم وأبنائهم،

يقول يعقوب -عليه السلام-: ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف: ٥] ينصح ابنه ويوجهه، ونصح أبناءه جميعا كما في قصة يوسف المشهورة وما حصل في ذلك،

لذلك ينبغي أن يهتم بصلاح البيت بصلاح الولد بصلاح النساء؛ لأنه كما قال الله -عز وجل- الولد والزوجة والأهل فتنة يفتن الناس بها ويمتحنوا، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩]،

إذًا إذا اشتغلت والتهيت بالولد وبالمال عن طاعة الله فأنت مقصر، إذا التهيت بنفسك عن ولدك وعن تذكيرهم فأنت في تقصير ووقعت في هذه الفتنة، حتى يكون ولدك بعد ذلك بسبب تقصيرك وبسبب إهمالك تجده أن البيت كله في فساد، وأن الولد لا يسمع أو لا يوقر كبيرًا ولا يرحم صغيرًا، يسلك طرق الفساد، فلا تستطيع ولا تتدارك المسألة من أولها لأنك ما سلكت هدي النبي –صلَّى الله عليه وسلم– في إصلاح البيوت.

لذلك يقول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤] والحذر هنا يكون في بداية الأمر حين الإصلاح فإذا لم يصلح الأمر ما استطعت إصلاح ولدك ولا إصلاح زوجك ولا إصلاح بناتك عند ذلك فأنت في فتنةٍ عظيمة حتى يأتي بك الأمر قد يكون سبب في هلاكك وسبب في ضياعك بسبب إهمالك وسبب تقصيرك.

ثم قال الله –عز وجل–: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ التغابن: ١٥ لذلك تجد النبي –صلى الله عليه وسلم– نبي الرحمة تجد عنده جانب الاهتمام بالبيت جانب عظيم مع اهتمامه بالدعوة وبالصحابة وبالجهاد، وما فرط بجانب البيت له تسع من النسوة –عليه الصلاة والسلام– وله أحفاد الحسن والحسين وله من البنات ما فرط بجانب الإحسان والإصلاح والرعاية والوصية يقول –عليه الصلاة والسلام–: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ» يعلمنا قضية التربية وإصلاح البيت.

وقال –عليه الصلاة والسلام–: «إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَيْقَظَ أَهْلَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ» يوقظ زوجته يوقظ ابنه يصلي ركعتين لله –سبحانه وتعالى– قال: «كُتِبَا جَمِيعًا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» بسبب ماذا؟ اعتنى بجانب أهله فأيقظهم لصلاة ركعتين،

النبي –صلى الله عليه وسلم– ينادي فاطمة وينصحها: «يَا فَاطِمَةُ ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– : اعْمَلِي للهِ خَيْرًا، إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»

بل –عليه الصلاة والسلام– يأتي إلى عمه أبي طالب الذي مات على الكفر وهو في مرض الموت يقول له «يَا عَمّ» انظر إلى رحمة النبي –صلَّى الله عليه وسلم– وحرصه على أهله وحرصه على الناس جميعًا ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] لكن رحمته في أهله –عليه الصلاة والسلام– في عمه إذ نصره في دعوته لكنه ما آمن وما أسلم

قال: ((يَا عَمِّ ؛ قُلْ : " لَا إِلَه إِلَّا الله كَلِمَة أُحَاجّ لَك بِهَا عِنْد الله)) يعني قل فقط لا إله إلا الله أشفع لك عند الله –عز وجل– وأُحاج لك حتى تكون من أهل الجنة فكان عنده رفقاء السوء من الكفار يقولون له "أترغب عن ملة عبد المطلب" يعني كيف لك أن ترغب عن ملة آبائك يذكرونه بآبائه حتى كان آخر ما قال ..... على ملة عبد المطلب ما قال لا إله إلا الله،

فهذا دليل على حرص رسول الله –عليه الصلاة والسلام– على رعاية الأهل وعلى رعاية جانب إصلاح البيوت وهذا كثير في سنة النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، فكما قلنا إن البيت إذا صلح صلح المجتمع، المجتمع كله نواته هو البيت يصلح هذا البيت يصلح الثاني يصلح الثالث يصلح المجتمع

ثم إذا صلح المجتمع صلح الولاة صلحت البلاد صلح العباد فنواة إصلاح المجتمع هو إصلاح البيت.

اجتهد في بيتك يصلح لك مجتمعك ويصلح لك ولاتك كما يقال "كما تكونوا يولى عليكم" بعضهم يطالب بإصلاح الحاكم ويتكلم في الحكام من أجل إصلاح الرعية وينقد تقصيرهم ولا ينقد في جانب نفسه وأنه ما استطاع أن .... لا ولد ولا ولدٍ ...تربيته وإصلاحه ثم يطالب بإصلاح المجتمع،

أصلح نفسك وأصلح ذريتك يصلح بيتك ثم بعد ذلك تصلح بيوت الناس ويصلح مجتمع الناس فينتقل الإصلاح إلى الولاة وإلى البلاد والعباد فتحصل البركات، ويفتح الله -عز وجل- بركات الدنيا وتحصل لهم النتيجة السعيدة في الآخرة، فهذا هو سبيل السعادة في حياة المُسلم أن يجتهد في إصلاح نفسه وأن يجتهد في إصلاح ولده؛ لأن بيتك الصالح هو أعظم نعم الله – عز وجل- عليك،

لذلك الله –عز وجل – منَّ على العِباد وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل:80] أي بيت تسكن إليه وتطمئن وترتاح إليه، إذا عمرتهُ بِطاعة الله وذكرِ الله –سبحانه وتعالى- أصبح في زيادة، زيادة السعادة في هذهِ الدَّار.

كُلُ نعمة ينعِمُ الله – عز وجل- عليك شكرها هو في ..... طاعة الله –سبحانه وتعالى-.

لذلك متى يكون العبد شاكرًا؟ الله –عز وجل– يقول : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:13] الله –عز وجل– أعطاك نعمة، كيف تشكر الله –عز وجل– على النعمة؟ هل يكفي أن تقول الحمد لله يا رب أشكرك على هذهِ النعمة؟ لا، هذا شكر لكنه شكر ناقص،

الشكر الكامل أن الله إذا أعطاك نعمة أن تنسب هذهِ النعمة بالله، ..... من الله –سبحانه وتعالى– نعمة من نعم الله –عز وجل– يُيسر الله –عز وجل– لك الأسباب ويفتح لكَ أبواب الخير، لكن الذي ينعم عليك هو الله –سبحانه وتعالى– فتنسب النعمة إلى المُنعِم وهو الربَّ –عز وجل– .

الثاني: تشكر الله باللسان يا ربِ أشكرك ، صابتك نعمة هناك سنة مهجورة لا يفعلها كثير من النَّاس هذهِ السنة ماهي؟

أنك إذا جاءك نعمة من نعم الدنيا، نعمة من نعم الآخرة رزقك الله أمر من الأمور، فتح الله –عز وجل– عليك وظيفة من الوظائف، منصب من المناصب، جاءك خبر مبشر بالخير، دفع الله –عز وجل– عنك نقمة أو مصيبة رفعت عنك، من السنة أن تسجد لله – عز وجل– تخر ساجدًا لله، من يفعل هذا الأمر؟ لا يفعلهُ إلا قليل من الناس، هذهِ من سنة النبي–صلى الله عليه وسلم– تسجد لله عند النعمة، تسجد لله عند دفع مصيبة أو نقمة من النقم هذا هو شكر الله –عز وجل– باللسان وبالعمل.

كذلك لا تكونُ شاكرًا حتى تعمل بهذهِ النعمة في طاعة الله –عز وجل– رزقك الله نعمة الأبصار، كيف تشكر نعمة الأبصار؟ تنظر إلى الحلال ولا تنظر للحرام، رزقك الله نعمة السمع لا

تسمع إلا لحلال، سمعت لحرام أنت ماشكرت نعمة السمع، رزقك الله بيتًا تسعى في إصلاحه تسعى في توجيه وإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تؤدي شكر هذهِ النعمة العظيمة.

رزقك الله ولدًا، الولد نعمة من النعم هل معنى هذا أن نتركهُ من غير تعليم ومن غير تربيةً؟ فالإنسان يبذلُ الأموال الطائلة من أجل تعليمه في مدارسِ الدنيا، الأمر مرغوب يسعى الإنسان لتعليم ولده لما يصلح له حياته، لكن أين أنت من إصلاح ولدك من جانب الدين، الولد يكبر ثم لا يأمره ولا ينبهه ولا يأمره بالصلاة ولا يذكره بأن الأمر بحساب كتب عليك كل شيء أنت الآن من المكلفين.

كثير من الناس – نسأل الله العافية – يعيشون في غفلة التقصير حاصلٌ منَّا ومن الغير لكن المسلم هو الذي يحاسب نفسه ويراجع نفسه ويعيد حساباتهِ مع ربه، يعيد حساباتهِ لتربيتهِ لأبنائه.

إن شاء الله سيكون معنا أو لنا في كل أحد مجلس مثل هذهِ المجالس، الذي نسأل الله –عز وجل– ..... نتذكر به طرق إصلاح البيوت وطرق تربية الأبناء في كل ماعلمناهُ .....

ونسأل الله –عز وجل– أن يصلحنا ويصلح ذرياتنا وأزواجنا وأهلينا وأن يكتبنا الله – سبحانه وتعالى–من الطائعين وأن ينجينا من النيرانِ ووالدينا يا رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد،

وجزاكم الله خيرًا على حسن استماعكم.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.